منـــطـقـــة الـــــدوانم في الـــــرضـــــوانـــيـــــة

كـــانت مـصـــدراً لـلـغـــذاء فـتـحـــولت الى مـــديـنـــة لـلـفـقـــر والـجـــوع

منطقة الدوانم في الرضوانية منطقة منسية منذ عقود من الزمن ، البحث فيها عن مدرسة مهمة صعبة والاصعب البحث عن مستشفى ، والاغرب فيها ألا سيارة اسعاف واحدة في منطقة يسكنها اكثر من سته الاف نسمة!
المحير في هذه المنطقة ان نهرا كان يغذي ارضا زراعية حول مجراه (بقدرة قادر) ولا احد يدري متى يعاود النهر بثه الحياة في مدينة يمكن حسبانها دون تردد من مدن القرن السابع وعليك عزيزي القارئ ان تختار الميلادي او الهجري!
محمد البالغ من العمر عشرين عاما قال في بداية زيارتنا للمنطقة: اخرج صباحا ولا اعود الابعد غروب الشمس وثمرة عملي بعض الاكياس التي تحوي قليلا من الطعام وبعض قناني الماء وأنقاضي مبلغاً يومياً قدره ثلاثة الاف دينار فهل يكفي ذلك تسعة وعشرين شخصاً) غالبيتهم من النساء والاطفال؟ فقدت والدي وثلاثة من اخوتي نتيجة العمليات الارهابية التي طالت منطقة الدوانم وانا الان لاقوى على تحمل المزيد .لقد هلكت من العمل وارهق جسدي واكاد افقد عقلي وانا اسمع بكاء الاطفال ليلا من شدة جوعهم..

النهر الذي اختفى

تحقيق/ ايناس طارق
تصوير/ سعد الله الخالدي

أين أصبح النهر؟

قد تكون قصة هذه العائلة كارثة في وقت اصبح محمد منهك القوى بسبب بذله جهدا اضافيا لمضاعفة اجرة عمله فهو يعمل في مطعم صغير (منظف) ولكن ان يكون هناك في منطقة واحدة مايقارب (سبعاً وسبعين) أرملة لم تدخل ضمن احصاءات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية فهذه قضية. يجب ان تأخذ بمحمل الجد وبجهود ميدانية لان العدد في تزايد وخصوصا ان هذا العدد يمثل قطاعاً واحداً ضمن منطقة تضم ستة قطاعات سكنية وتضم (٨٦٩ . ٨٧٣ . . .)، يقول (ابو رعد) وهو ضمن مجلس عشائر المنطقة .لايوجد في محلتنا مجلس بلدي مما دفعنا الى تأسيس مجلس مكون من شيوخ عشائر منطقة الدوانم ويضم قطاعاته الستة، وهذا الامر كان الحافز الايجابي الاول للمساعدة في استتباب الامن في المنطقة بمساعدة (القوات الحكومية والصديقة) ولكن بعد ذلك كان الوضع، يدل على مأساة انسانية، لهذا بدانا بعمل احصائية اولية وتوقفنا عند الرقم السبعين وهذا الرقم هو عدد الارامل، في ثلاث محلات فقط ويمكن مضاعفة الرقم مرتين لمعرفة عدد الاطفال الايتام؟ لاننا بصراحة مناطق ريفية وانجاب الاطفال صفة الفلاحين لزيادة عدد الايدي العاملة في الارض ومنطقتنا منطقة زراعية ولكن الان كل شيء مربك ولا نعلم مصير الارامل والايتام من يعيل عوائل بكاملها؟ نساء لا يعرفن القراءة والكتابة اطفال ينتظرون متى يطرق باب منزلهم. ليسدوا رمق جوعهم ويروى عطشهم الماء هنا غير صالح للشرب ويشترى من الاسواق، وغالبية العوائل فقيرة ولا تستطع اعاله غيرها لهذا يضطر النساء والاطفال الى شرب ماء البئر وهو غير محلل. ولم يثبت صلاحه للاستهلاك البشري اذن هل يترك هولاء للهلاك والموت نحن نسمع عن وجود (وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .رعاية اجتماعية .وزارة المرأة)الحالة تحتاج الى معالجة والا سوف نكون امام كارثه انسانية بسبب الجوع والعطش.

> * مطالبة الحكومة لشمولهم بتعويضات الاعمال الإرهابية ، فهناك عوائل تسكن فوق انقاض منازلها لضعف قدراتهم المالية

قصة أرملة:

تقول أم رافد فقدت زوجي وانا حامل وابني رافد عمره الان سنتان ولااعلم اين اذهب للحصول على راتب او مبلغ شهري يساعدنا قليلا في التقليل من النفقات المالية لان عائلة زوجي تتألف من سته عشر شخصا اضافة الى ان شقيق زوجي هو معوق نتيجة اصابته بشظايا احد الهاونات التي سقطت على منطقتنا واثنان اخران ينفقان علينا ولكن في اغلب الاحيان ينام ابني بدون ان يتذوق الحليب وهذا الامر سبب لديه ضعف في نمو العظام (نقص كالسيوم، هذه حالة من عشرات الحالات التي التقيناها في المنطقة.

أين أصبح النهر؟

جمال الطبيعة الخضراء اختفى وراء اسوار بيوت محطمة ارض حرقت من لهيب حراره الشمس ؟ ونهر جف من الماء كان يروى منه الزرع والضرع اسمه (نهر ابو غريب شاقه ٦ مقاطعه ١٧) هذه ليست حكاية من الف ليلة وليلة لان النهر الان غير مجراه و الساقية وهي ما تبقى من ملامح نهراصبح مكبا لنفايات المنطقة.
يقول عامر كامل: منطقة الدوانم منطقة زراعية مسجله في الطابو باسماء المزارعين منذ عام ١٩٧٩ ومنذ عهد النظام السابق والى وقتنا هذه المنطقة تعاني عدم توفر الخدمات البلدية اضافة الى شحة الماء الصالح للشرب وفي السنتين الاخيرتين ونتيجة العمليات الارهابية غير مصب النهر مجراه الى الجهة المقابله للمنطقة، والان المنطقة اصبحت خاوية من الزرع والاراضي الزراعية اهلكت وحتى اشجار النخيل احرقت وتدلى سعفها مصغرا نحن الفلاحين لا نمتهن غير مهنة الفلاحة وقوت عوائلنا من الارض.
يقول الفلاح ابو صابر قبل ما يقارب الستة اشهر جاء الى المنطقة مندوبين من وزارة الزراعة لتنظيف الساقية ولكن بعد اسابيع ترك العمل ولا نعلم الاسباب وكما تلاحظون المنطقة اصبحت قاحلة لعدم وجود الماء، ومن.. يزورنا او يتفقد حالنا؟

دور أمانة العاصمة:

يكاد او بكل صراحة يكاد يختفي دور امانه العاصمه في المناطق القريبة البعيدة ومعنى ذلك ان منطقة الدوانم تقع ضمن مدينة بغداد ولا يفصلها عن منطقة الشرطة الرابعة مسافة لاتتجاوز الكيلو مترين.
يقول محمد سالم يوجد مجلس بلدي في منطقة الرسالة محلة ٨٥٧ . (حي الرسالة) والمحال الاخرى لايوجد بها مجالس بلدية وللعلم فقط ان عدد عمال النظافة لايتجاوز ٨ عمال في منطقة تضم ٣٠٠٠ الاف بيت.
ويعلق الشيخ عيسى حسن وهو شيخ احدى العشائر: نحن نطلب من امانه بغداد ان تأتي الى المنطقة لرفع النفاياتِ والانقاض لان الوضع اصبح حرجاً جدا الكلاب السائبة منتشرة في كل مكان النفايات. اصبحت قمم جبال .وما تخلفه من روائح كريهة تنقل الامراض نحن بحاجة الى العمل بجدية وخصوصا ان الامن مستتب بالمنطقة والدليل انتم هنا الان اضافة الى ان الطريق قد تم تأمينه بالكامل ويبدأ (من منطقة بغداد، الدوانم الى الرضوانية وبالعكس).
اضافة الى ان الشوارع الرئيسية والفرعية غير مبلطة علما ان الشارع الرئيسي يشكل حلقة الوصل بين بغداد، أبي غريب، الفلوجة وهو مازال ترابيا اذن متى يبلط نحن نسأل وجاءنا رجل كبير في العمر وطلب منا الذهاب معه وبدورنا ذهبنا مع الرجل بيت قديم جدا مغطى بجذوع اشجار متهدلة بعد ان جف الماء من جذورها وأمام الباب انتظرتنا فتاة اسمها (انتصار سعيد) امرأة عراقية لم يتجاوز عمرها ثلاثة وعشرين عاما تقول تعرضت الى الاصابه في عيني اليسرى بعد تعرض منطقتنا لسقوط عدد من قذائف الهاون واجريت عمليتين، لوجود شظية في عيني اليسرى وقرر الاطباء قلع عيني لعدم امكانية اخراج الشظايامنها ولم يبق شي يواسيني زوجي تركني لعدم استطاعته تحمل ما جرى، إضافة الى ان ابني اصيب ايضا واصبح (معوقاً) وتستدرك انتصار بالقول نحن نسمع عن وجود منظمات نسوية ومجتمع مدني اين هم الان؟ نحن بحاجة الى من يأخذ بيدنا لنطالب بتعويض مادي ليس لغرض شراء الطعام والماء وانما لشراء الحليب والدواء لاطفالنا.

> *نهر اختفى فجأة وآبار مياهها مالحة
> *منذ سنتين لم يتسلم أهالي المنطقة حصتهم من البطاقة التموينية باستثناء شهري تموز وآب / ٢٠٠٨ والبطاقة الوقودية بالنسبة للاهالي مجرد اشاعة

حفر الابار:

امرأة كبيرة في العمر كانت تحمل جليكان ماء (٥ لترات) استوقفتنا المرأة العجوز وقالت هل تعطونا رواتب تقاعدية او مجرد كلام يكتب ولا يقرأ وينفذ؟ صمتت المرأة العجوز وقالت اذهب الى الجيران لاحضار الماء من البئر وجسدي اصبح بئر لتصفية الماء المالح واثر ذلك في عمل الكليتين ولكن ليس هناك من يعيلني ابني الوحيد توفي في العمليات الارهابية وكان يعمل في القوات الحكومية ومنذ ما يقارب السنة اراجع الدوائر للحصول على راتبه التقاعدي ولكن دون فائدة نحن نساء كبار في السن ونحتاج الى الرعاية الاجتماعية اين هم؟
يقول المزارع سلمان نتيجة شحة الماء في منطقتنا وبعد ان تعرض النهر الى الجفاف بدأنا بحفر الابار لانقاذ اراضينا الزراعية ولكن كانت الطامه الكبرى ان ماء الابار مالح مما سبب في هلاك المزروعات وكما ترون لاماء لازرع اضافة الى اننا نستخدم ماء الابار في الاستخدامات الاخرى ونتيجة ذلك ظهرت امراض جلدية عديدة بين سكان المنطقة وبعض العوائل ليس لديها امكانية مادية بحفر البئر تذهب الى البيوت المجاورة لجلب الماء.

لا وجود للمدارس:

مجموعة من الاطفال تتراوح اعمارهم بين السابعة والعاشرة كانوا يلعبون في ساقية النهريقول سامح يبلغ من العمر تسع سنوات نلعب هنا لعدم وجود متنزه او ملعب في منطقتنا وحتى مدارس لم نذهب اليها منذ عامين وكنت في الصف الثاني الابتدائي ونتيجة العمليات الارهابية وبعد المدرسة عن منطقتنا تركنا المدارس، والدي يقول يمكننا الذهاب الى المدرسة هذا العام.
احمد سلمان وهو احد شيوخ عشائر المنطقة يقول توجد مدرسة ابتدائية واحدة تبعد نحو خمسة كيلو مترات عن منطقة الدوانم (مدرسة جيل التاميم الابتدائية) ولا توجد مدارس غيرها ومنذ النظام السابق وحتى الان لم تبن مدرسة جديده وغالبية اطفال المنطقة بعد اكمال الدراسة الابتدائية لا يكملون تعليمهم لعدم استطاعة عوائلهم تحمل نفقات الدراسة.
يقول صلاح في المرحلة الثانية (كلية التراث) لم اذهب الى الكلية منذ سنتين واعمل الان في بيع المواد الغذائية بعد ان بنيت محلا صغيرا في بيتنا ولا استطع اكمال الدراسة الجامعية بسبب وفاة اخي وتركه اربعة اطفال صغار وليس لديهم راتب او مصدر مادي يساعدهم على العيش بسلام اضافة الى اطفال شقيقتي التي توفيت نتيجة العمليات العسكرية السابقة.

المستشفيات في المنطقة:

لا يوجد مشفى او مستوصف او سيارة اسعاف في منطقة عدد سكانها يتجاوز ٦٠٠٠ الاف واقرب مستشفى يبعد نحو خمسة عشر كيلو مترا (مستشفى الفلوجة، أبي غريب) لهذا كان لابد من ايجاد وسيلة تساعد اهالي المنطقة لتجاوز الازمات الصحية وحسب ما يقول خليل سلمان احد وجهاء المنطقة لقد اصبحت الحالة الصحية صعبة جدا فكان لابد من انشاء عيادة طبية وفق مطلبات الحالة الصحية تكونت من عدد من المعاونين الطبيين، إضافة الى مختبر للتحليلات المرضية وباسعار رمزية لا تثقل كاهل المواطن.
يقول المعاون الطبي: قاسم خلف عباس ان الغرض من انشاء عياده الشفاء بناء على طلب اهالي المنطقة من وجهاء العشائر نظرا للظروف الامنية السابقة وتعرض النساء والاطفال الى وعكات صحية ويتطلب الامر معالجة سريعة نحن نقدم قدر ما نستطيع من مساعدة طبية وبكل صراحة انشاء العيادة ساعد في عدم انتشار الكثير من الامراض الجلدية او المعدية لاننا نطلب تحاليل المريض ونقدم الدواء المناسب ومن ثم تنقل الحالة الى المستشفيات المتخصصة، اما بالنسبة الى اسعار الادوية فهي اسعار رمزية جدا واحيان يصرف الدواء دون مقابل مادي لان العوائل هنا متعبة نفسيا وماديا ويساعدنا كثيرا في توفير مستلزمات العيادة رجال وجهاء العشائر المتمكنون ماديا.

منظمة إنسانية:

بالقرب من العيادة الطبية لفت انتباهنا لافتة كتب عليها (جمعية الرافدين الإنسانية) استفسرنا عن هذه الجمعية ومحاولة اللقاء مع مؤسسيها لكن كانت اجابة اهالي المنطقة ان اصحاب الجمعية يأتون في الساعة الرابعة عصرا ومؤسسة الجمعية امرأة تدعى (أم خالد) تقوم بتوزيع المواد الغذائية على الارامل والايتام في المنطقة؟ ونحن نتوجه بسؤال اين المنظمات الانسانية أم دورها يقتصر فقط في عقد المؤتمرات.

الحصة التموينية:

يقول حمد وهووكيل مواد غذائية منذ ما يقارب سنتين لم نستطع الذهاب الى مخازن وزارة التجارة لجلب مواد الحصة التموينية ولكن في الشهرين الاخيرين بدأنا بتوزيع المواد الغذائية المقررة من وزارة التجارة ولكن المواطنين يتساءلون أليس من حقنا تسلم الحصة التموينية للسنوات السابقة وخصوصاً ان الجميع يعلم ماكانت تعانيه مناطقنا من فقر ودمار اذن لماذا لاتقوم لجان تابعة لوزارة التجارة بتوزيع الحصة التموينية عملا بنظام التعويضات؟

> * ثمانية عمال نظافة لثلاثة الاف دار!
> * نفايات تحولت الى تلال تخلف الروائح الكريهة وتنقل الامراض واصبحت مرتعاً للكلاب السائبة

الأسواق..محطات الغاز والبنزين:

لايوجد سوق في المنطقة واقرب محطة تسوق هي سوق أبي غريب. ولكن مع الاسف منطقة كانت تمد اسواق بغداد والمناطق المجاورة، بأنواع مختلفة من الفواكه والخضراوات اليوم فلاحوها يذهبون الى الاسواق لشراء الخضراوات والفواكه.
يقول أبو مظفر نذهب اسبوعيا الى سوق أبي غريب للتسوق وسابقا كانت ارضنا الزراعية تطرح مالذ وطاب من انواع الثمار والتمور ولكن العمليات الارهابية وجفاف ماء النهر جعلتنا نعيش عزلة زراعية ونحن نعتب على وزارة الزراعة ان تترك المزارعين بدلا من مد يد العون لهم لعودة الحياة الى اراضيهم التي ماتت بسبب شحة ماء وجفاف الأرض.
يقول كريم الحمداني بالنسبة الى محطات الغاز لا توجد أي محطة واقرب محطة غاز تبعد مسافة عشرة كيلومترات وتقع ضمن منطقة ٨٦٧ وبسبب الظروف الامنية السابقة كان اهالي المنطقة يطهون الطعام بحرق اخشاب الاشجار والى الان نعاني بعد المسافة اضافة الى اننا سمعنا بوجود بطاقة وقودية تضمن حق المواطن بالحصول على النفط والغاز اين نحن من ذلك ؟ولماذا لم توزع على مناطقنا وما زالنا نشتري قنينة الغاز بمبلغ تسعة الاف دينار، وبعد ذلك التقينا ثامر ابراهيم امر الصحوة في منطقة الدوانم الذي تحدث الينا قائلاً:
بعد نجاح خطة فرض القانون ومسانده قوات الصحوة في استتباب الامن اصبحت مناطقنا الان امنة مئة بالمئة ويمكن للمواطن الان المرور من منطقتنا مباشرا الى منطقة الرضوانية مرور بالخط السريع المؤدي الى محافظة البصرة وهناك ما يقارب ١٤٠٠ مقاتل يمثلون قوات الصحوة ينتشرون على هذه الطرق لاستتباب الأمن وعدم الإخلال به لاننا عندما نتعامل مع بعضنا البعض الاخر نتعامل كعراقيين فقط.
وقد ناشد عيسى حسن الجبوري رئيس شيوخ عشائر منطقة غرب بغداد: طالبا ان تأخذ وسائل الاعلام دورها بصورة اكبر وايجابية لنشر التغيرات التي حدثت في مناطق بغداد لان ذلك يساعد في عودة العوائل المهجرة الى منازلهم ويبقى الاعلام هو الوسيلة الاساسية والحافز الاول لعودة المهجرين فهناك مهجرون عادوا الى منازلهم بعد ان سمعوا بعودة الامن الى مناطقنا وهناك ما يقارب ١٤٠ عائلة مهجرة عادت وبدأت تعمر وتبني منازلها بعد ان طالها الخراب والدمار بسبب الاعمال الارهابية السابقة والتي ولت بلا عودة ولكن لدينا مقترح وطلب ان ترسل الحكومة العراقية لجان خاصة للكشف على الاضرار المادية التي طالت المنازل فهناك عوائل تسكن فوق انقاض منازلهم المدمرة ولعدم استطاعتهم اعادة بنائها واعمارها يناشدون الحكومة النظر في ذلك ومساعدتهم بمبالغ مادية تعينهم على الاسراع في بناء جدران منازلهم وخصوصا فصل الشتاء لم يبق الى القليل ليحل علينا ضيفا مثقلا بازمة النفط والغاز.

واقع الاطفال في المنطقة